البَابُ السَّادِسَ عَشَرَ

في الفرْقِ بيْنَ الهداية والصَّلاح والسَّداد وما يُخالفُ ذلك من الغيِّ والفَساد وما يَقْرُبُ منْه

«الفرق» بين الهداية والإرْشَادِ أنَّ الإرشادَ إلى الشيء هو التَّطْرِيقُ إليه والتَّبيينُ له. والهدايةُ هي التمكُّن من الوصول إليه، وقد جاءت الهداية للمهتدى في قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦] فذكر أنهم دعُوا بالهداية وهم مُهْتَدُونَ لا محالةَ ولم يجئ مثل ذلك في الإرْشَاد، ويقال أيضًا هَدَاهُ إلى المكْرُوهِ، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج:٦٧]، وقال تعالى: ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات:٢٣] والهُدَى الدلالة فإذا كان مستقيمًا فهو دلالة إلى الصَّواب، والإيمانُ هُدًى لأنه دَلالةٌ إلى الجنة، وقد يقال: الطَّرِيقُ هَدًى ولا يقال أَرْشَدَهُ إلَّا إلى المحبوب، والرَّاشِدُ هو القابلُ للإرْشَاد والرَّشيدُ مبالغةٌ من ذلك، ويجوز أن يقال الرشيدُ الذي صلح بها في نفسه مما يبعث عليه الخير، والراشدُ القابلُ لما دلَّ عليه من طريق الرشد، والمُرْشِدُ الهادي للخير والدَّالُّ على طريق الرشد، ومثل ذلك مثل من يقف بين طريقين لا يَدْري أيهما يؤدي إلى الغرض المطلوب فإذا دَلَّهُ عليه دَالٌّ فقد أرْشَدَهُ وإذا قَبِلَ هو قول الدَّالِّ فسلك قَصْدَ السبيل فهو رَاشِدٌ وإذا بَعَثَتْهُ نَفْسُه على سُلوكِ الطريق القاصدِ فهو رَشيدٌ والرَّشَادُ والسداد والصواب حق من يعمل عليه أن ينجو وحقٌّ من يعمل على خلافه أن يهلك.

«الفرق» بين الهُدَى والبيان، أن البيان في الحقيقة إظهارُ المعنى للنفس كائنًا ما كان فهو في الحقيقة من قبيل القول. والهدى بيان طريق الرشد ليسلكَ دون طريق الغَيِّ هذا إذا أطلق، فإذا قيد استعمل في غيره، فقيل هدى إلى النار وغيرها.

«الفرق» بين الخير والصَّلاح: أنَّ الصَّلاح الاستقامةُ على ما تدعو إليه الحكمةُ، ويكون في الضُّرِّ والنَّفْع كالمرض يكون صلاحًا للإنسان في وقت دون الصحة، وذلك أنه يؤدي إلى النَّفْع في باب الدِّين، فأمَّا الألم الذي لا يؤدي إلى النَّفْع فلا يُسَمَّى صَلاحًا مثل عذاب جهنمَ فإنه لا يؤدِّي إلى نَفْعٍ ولا هو نَفْعٌ في نفسه، ويقال أفعالُ الله تعالى كُلُّهَا خيرٌ ولا يقال عذابٌ الآخرةِ خيرٌ للمُعذَّبين به، وقيل الصَّلاح: التغيرُ إلى استقامة الحال والصالح المتغير إلى استقامة الحال، ولهذا لا يقال لله تعالى صالحٌ، والصالح في الدين يجري على الفرائض والنَّوافل دُونَ المباحات، لأنه مُرغَّب فيه ومأمور به، فلا يجوزُ أن يرغب في المباح، ولا أن يؤمر به لأنَّ ذلك عبثٌ، والخير هو السرور والحسن وإذا لم يكنْ حسنًا لم يكنْ خيرًا لما يؤدِّي إليه من الضرر الزائد على المنفعة

به، ولذلك لم تكُنِ المعاصي خيرًا، وإن كانَتْ لذَّةً وسرورًا ولا يقال للمرضى خير كما يقال له صلاح، فإذا جعلت خيرًا أفعل فقلت: المرضُ خيرٌ لِفُلانٍ من الصِّحَّةِ كان ذلك جائزًا ويقال: اللهُ تعالى خَيْرٌ لنا من غَيْرِهِ ولا يقال هو أصْلَحُ لنا من غيره؛ لأنَّ أفعل إنما يزيد على لفظ فاعل مُبالغةً فإذا لم يصح أن يوصفَ بأنه أصْلَحُ من غيره، والخيرُ اسمٌ من أسماء الله تعالى، وفي الصحابة رجُلٌ يقال له عبْدُ خَيْرٍ وقال أبو هشام: تسمية الله تعالى بأنه خيرٌ مجازٌ، قال: ويقال خَارَ اللهُ لك ولَمْ يجئ أنه خائر.

«الفرق» بين الهَدَايةِ والنَّجَاةِ أن النَّجاةَ تفيدُ الخلاصَ من المكْرُوهِ والهدايةُ تفيدُ التمكُّنَ من الوصول إلى الشيء، ولفظهما ينبئُ عن معنييهما، وهو أنك تقول: نَجَّاهُ من كذا وهَدَاهُ إلى كذا فالنَّجَاةُ تكون من الشيء، والهدايةُ تكون إلى الشيء وإنما ذكرناهما، والفرق بينهما لأن بعضهم ذكر أنهما سواء.

«الفرق» بين الفَوْزِ والنَّجَاةِ أن النَّجَاةَ هي الخلاصُ من المكْرُوه، والفوز هو الخلاصُ من المكروه مع الوصول إلى المحبوب، ولهذا سَمَّى اللهُ تعالى المؤمنين فائزين لِنجَاتِهِمْ مِنَ النَّارِ ونيلهم الجنة، ولَمَّا كان الفوزُ يقتضي نَيْلَ المحبوبِ قيل فاز بطلبته، وقال تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٧٣] أي أنالُ الخير نَيْلًا كثيرًا.

«الفرق» بين الفَوْزِ والظَّفَرِ أن الظَّفْرَ هو العلو على المناوئ المنازع، قال الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٢٤] وقد يستعمل في موضع الفوز يقال ظفر[(١)] ببُغْيَتِهِ ولا يُستعمل الفوزُ في موضع الظَّفْرِ، ألَا تَرَى أنه لا يقال فاز بِعدُوِّه كما يقال: ظفِرَ بِعَدُوِّهِ بعينه فالظَّفْرُ مفارقٌ للفَوْز وقال عليُّ بنُ عيسَى: الفوز: الظفر بدلًا من الوقوع في الشر، وأصله نَيْلُ الحظِّ من الخير وفوزَ إذا ركب المفازة وفوزَ أيضًا إذا ماتَ لأنه قد صار في مثل المَفَازَةِ.

«الفرق» بين النَّجاةِ والتَّخلُّصِ أنَّ التَّخَلُّصَ يكون من تعقيدٍ وإن لم يكن أذًى، والنَّجَاةُ لا تكون إلَّا من أذًى، ولا يقال لمن لا خَوْفَ عليه نجا لأنه لا يكون ناجيًا إلا مما يُخَافُ.

«الفرق» بين الصَّلَاحِ والفَلَاحِ أنَّ الصَّلَاحَ ما يُتَمكَّن به من الخير أو يُتخلَّصُ به من الشر، والفلاح نَيْلُ الخير والنفع الباقي أثره، وسُمِّي الشَّيْءُ البَاقِي الأَثَرَ فَلْحًا، ويقال للأكَّارِ[(٢)] فلاح لأنه يَشُقُّ الأرض شَقًّا باقيًا في الأرض والأفْلَحُ المشقُوق الشَّفَة السُّفْلَى، يقال: هذه عِلَّة صَلاحه ولا يقال فَلاحِه بل يقال: هي سببُ فلاحِه، ويقال موتُه صلاحُه، لأنه يتخلص به من الضَّرَرِ

(١) ظفر: ظفِرَ الشيءَ، أي فاز به ونَالَهُ. ويُقال: ظفِر الله فلانًا على فلان: أي غلبهُ عليه

(٢) الأكار: بتشديد الكاف المفتوحة، أي الحرَّاث، والجمع أكرة

العاجلِ ولا يقال: هو فلاحه لأنه ليس بنفع يناله، ويقال أيضًا لِكُلِّ من عَقَلَ وحزَمَ وتكاملتْ فيه خِلالُ الخير، قَدْ أفْلَح ولا يقال صَلُحَ إلا إذا تغيَّر إلى استقامةِ الحال، والفلاحُ لا يفيدُ التَّغييرَ ويجوز أن يقالَ الصلاحُ وضْعُ الشيءِ على صفةٍ ينتفعُ به سَواءٌ انتفعَ أوْ لا، ولهذا يقال أصْلَحْنَا أمْرَ فُلانٍ فلم ينتفعْ بذلك فهو كالنَّفْع في أنه يجوزُ أن لا ينتفع به، ويقال: فلانٌ يصلحُ للقضَاءِ ويصلحُ أمره ولا يُسْتَعمل الفلاحُ في ذلك.

ومِمَّا يَجْرِي مَعَ هَذا

«الفرق» بين التَّسْديدِ والتَّقْويم أن التَّسْديدَ هو التوجيهُ للصَّوابِ، فيقال سَدَّد السهم إذا وجَّهَهُ وجْهَ الصواب، والتَّقْويمَ إزالةُ الاعْوِجاجِ كتقويم الرُّمْح والقَدحِ، ثم يُسْتعار، فيقال قوَّم العملَ، فالمسدِّدُ المقوِّمُ لسببِ الصَّلاحِ، والتسْديدُ يكون في السَّبَبِ المولِّد كتسديد السَّهْم للإصابةِ، ويكون في السَّببِ المؤدي كاللُّطْفِ الذي يؤدِّي إلى الطَّاعَة، والسَّببُ على وَجْهين مَولد ومؤدٍّ فالمولدُ هو الذي لا يتبع المسبَب إلا به لنقص القادرِ عن فِعْله دونه، والمؤدِّي هو الدَّاعِي إلى الفعل دُعاء التَّرْغيب والتَّرْهيبِ والتَّسْديدِ من أكبر الأسباب لأنَّه يكُونُ في المولد والمؤدّى، والتَّسْديدُ للحقِّ لا يكون إلا مع طلب الحق فأمَّا مع الإعْراضِ عنه والتَّشَاغُلِ بغيره فلا يصحُّ، والإصْلاحُ تَقْويمُ الأمْرِ على ما تَدْعو إليه الحِكْمةُ.

«الفرق» بين الرُّشْدِ والرَّشَدِ قال أبو عمرو بن العلاء: الرُّشْدِ: الصَّلاحُ، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓا إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[النساء:٦] والرَّشَدُ: الاسْتِقَامةُ في الدِّين ومنه قوله تعالى: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف:٦٦] وقيل هما لغتان مثل العَدِم والعُدْمِ[١].

ومِمَّا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ

«الفرق» بَيْنَ الإحْكَام والإتْقَانِ: أنَّ إتْقَانَ الشَّيْءِ إصْلاحهُ، وأصْلهُ من التَّقْنِ[٢]، وهو التَّرْنُوقُ الذي يكون في المسِيل أو البئر وهو الطين المختلط بالحمأةِ، يؤخذ فيصلح به التأسيس وغيره، فيسد خُلله ويصلحه، فيقال أتقنه إذا طَلاهُ بالتَّقْن ثم استعمل فيما يصحُّ معرفته فيقال أتْقَنْتُ كَذا أي عَرفْتهُ صحيحًا كأنه لم يَدَعْ فيه خَللًا، والإحْكَامَ إيجادُ الفعل محكمًا، ولهذا قال اللهُ تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[هود:١] أي خُلقتْ مُحكمة ولم يقل أُتْقنَتْ لأنها لم تُخْلَقْ

(١) العدم: بفتح العين والدال: ضِدُّ الوجود، وهو بمعنى الفقر أيضًا. والعُدْم: بضم العين وإسكان الدال بمعنى الفقر

(٢) التَّقْنُ: الرجلُ المتقن الحاذق. والطبع، والطين الرقيق يخالطه حمأ يخرج من البئر.

وبها خَلَلٌ ثم سد خللها وحكى بعضهم أتقنتُ البابَ إذا أصلحتُهُ، قال أبو هلال - رحمه الله تعالى - ولا يقال أحكمتُه إلا إذا ابتدأتهُ مُحكمًا.

«الفرق» بين الإحْكَام والرَّصْفِ، أنَّ الرَّصْفَ[1] هو جَمْعُ شيءٍ إلى شيءٍ يشاكله، وإحكام الشَّيءِ خَلْقُه مُحكمًا ولا يُستعمل الرَّصْفُ إلا في الأجسام، والإحْكَامُ والإتْقانُ يُستعملان فيها وفي الأعْراض فيقال فعلٌ متقنٌ ومُحكَمٌ ولا يقال فعلٌ مَرْصُوفٌ إلا أنهم قالوا: رصف هذا الكلام حسن وهو مجاز لا يتعدَّى هذا الموضع.

«الفرق» بين إحْكَام الشيء وإبْرَامِه أنَّ إبْرَامَهَ تقويتُه، وأصله في تقوية الحبل وهو في غيره مستعارٌ.

«الفرق» بين الإبْرَام والتَّأْرِيبِ أنَّ التَّأْريبَ شِدَّةُ العقد، يقال: أربَ العقْدَ إذا جعل عقدًا فوق عقد وهو خلافَ النشِيط يقال نشطَهُ إذا عَقَدَهُ بأنْشُوطَةٍ وهو عقد ضعيف وأربَهُ إذا أحْكَمَ عقْدَهُ وأنشطَهُ إذا حَلَّ الأُنْشُوطَة.

الفَرْقُ بينَ مَا يُخالفُ الهِدَايَة وغيرها مِمَّا يَجْرِي فِي البَابِ

«الفرق» بين الزَّيْغِ والمَيْلِ أن الزَّيغَ مطلقًا لا يكونُ إلا الميلَ عن الحقِّ يقال: فلانٌ من أهل الزَّيْغ، ويقال أيضًا زَاغَ عَنِ الحقِّ ولا أعرفُ زَاغَ عَنِ الباطِلِ لأنَّ الزَّيْغَ اسمٌ لميْل مكرُوهٍ، ولهذا قال أهلُ اللغة: الفرغُ زَيْغٌ في الرُّسْغ، والميْلُ عَامٌّ في المحبُوبِ والمكرُوهِ.

«الفرق» بين المَيْلِ والمَيَلِ أن المَيَلَ مصدرٌ، ويستعملُ فيما يُرَى وفيما لا يُرَى مثل مَيْلُكَ إلى فُلانٍ ومَالَ الحائطُ مَيْلًا، ومَيَلٌ بالتحريك اسمٌ يُستعملُ فيما يَرى خاصَّة، تقول: في العود مَيَلٌ، وفي فلان مَيَلٌ إذا كان يميلُ في أحد الجانبين من خلقه.

«الفرق» بين العَثْو والفَسَادِ أن العَثْو كثرةُ الفَسَادِ، وأصلُهُ من قولك ضَبعٌ عَثْوَاء إذا كَثُرَ الشَّعْرُ على وَجْهِهَا وكذلك الرجل وعَاثَ يعيثُ لغة وَعثا يَعْثُو أفصح اللغتين ومنه قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

«الفرق» بين الفَسَادِ والقَبيحِ أنَّ الفَسَادَ هو التغييرُ عن المقْدار الذي تَدْعُو إليه الحِكْمَةُ والشَّاهِدُ أنه نقيضُ الصَّلاح، وهو الاستقامةُ على ما تعدو إليه الحِكْمةُ وإذا قصرَ عن المقدار أو أفرط لم يصلحْ وإذا كانَ على المقْدارِ أصْلَحَ والقبيحُ ما تزجرُ عنه الحِكْمَةُ وليس فيه معنى المقْدار.

«الفرق» بين الفَسَادِ والغَيِّ أن كُلَّ غَيٍّ قبيحٌ ويجوز أن يكونَ فساد ليس بقبيح كفساد

(١) الرَّصْف: رصف الشيء: أي رضَّه يقال رصف الحجارة في البناء، أي ضمَّ بعضها إلى بعض. ويقال: رصف قدميه: ضمَّ إحداهما إلى الأخرى. ورصف ما بين قدميه: أي قرَّبهما

التفاحة بتعيينها ويذهب بذلك إلى أنها تغيَّرتْ عن الحال التي كَانَتْ عليها، وإذا قُلْنا: فلانٌ فاسدٌ اقتضى ذلك أنه فاجرٌ وإذا قلت إنه غَاوٍ اقتضى فساد المذهب والاعْتِقَادِ.

«الفرق» بين الغَيِّ والضَّلَال أنَّ أصْلَ الغَيِّ الفسادُ، ومنه يقال غَوَى الفَصِيلُ إذا بَشِمَ[1] من كثرة شُرب اللبن، وإذا لم يروِ من لبنِ أمه فماتَ هَزْلَا. فالكلمة من الأضْداد، وأصْلُ الضَّلَال الهَلَاكُ، ومنه قولهم ضَلَّت النَّاقةُ إذا هلكت بضياعها، وفي القرآن ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة:١٠] أي هلكنا بتقطّع أوْصَالِنا فالذي يوجبه أصل الكلمتين أن يكون الضَّلَال عن الدين أبْلَغَ من الغَيِّ فيه ويستعمل الضلال أيضًا في الطريق كما يستعمل في الدين فيقال: ضلَّ عن الطريق إذا فارقه ولا يستعمل الغيُّ إلا في الدين خاصة فهذا فرق آخر، وربما استعمل الغي في الخيبة، يقالُ: غوَى الرجُلُ إذا خَابَ في مَطْلَبِهِ، وأنشدَ قول الشاعر:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أمْرَهُ ... وَمَنْ يَغْوِ لَا يعْدم عَلَى الغَيِّ لَائِمَا

وقيل أيضًا معنى البيت أنَّ مَنْ يفعلُ الخيرَ يُحْمد ومَنْ يفعلِ الشَّر، يُذَمّ فجعل من المعنى الأول ويقال أيضًا ضلَّ عن الثَّوابِ ومنه قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [غافر:٧٤] والضَّلَالُ بمعنى الضَّياع يقال هو ضالٌّ في قومه أي ضَائعٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى:٧] أي ضَائعًا في قومك لا يعرفون منزلتَك ويجوز أن يكون ضَالًّا أي في قوم ضَالِّينَ لأن من أقام في قوم نسب إليهم كما قيل خالد الحذاء لنزوله بين الحذائين وأبو عثمان المازني لإقامته في بني مازن ولم يكن منهم، وقال أبو علي رحمه الله ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ أي وجدك ذاهبًا إلى النبوة فهي ضالة عنك كما قال تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة:٢٨٢] وإنما الشَّهادةُ هي الضلالَةُ عنها وهذا من المقلوب المستفيض في كلامهم ويكون الضَّلالُ الإبْطالِ ومنه ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:١] أي أبْطلها، ومنه ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل:٢] ويقال: ضَلَّلني فلانٌ أي سَمَّاني ضَالًّا، والضَّلالُ يتصرَّفُ في وجوه لا يتصرَّفُ الغَيُّ فيها.

«الفرق» بين الحَنَف والحَيْف أن الحَنَفَ هو العدولُ عن الحقِّ والحَيْفُ الحمل على الشيء حتى ينقصه، وأصله من قولك تَحَيَّفْتُ الشيءَ إذا تنقصته من حافَاته.

«الفرق» بين الميْل والمَيْد أن الميلَ يكونُ في جانبٍ واحدٍ والمَيْدِ هو أن يميل مرة يمنة ومرة يسرة ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء:٣١] أي تضْطَرِبُ يُمْنةً ويسْرَةً، ومعروفٌ أنه لم يرد أنها تميدُ في جانبٍ واحدٍ وإنما أراد الاضْطِرَاب، والاضْطِرَابُ يكون من الجانبين، قا الشاعرُ:

حبتهم مَيَّالَةً تَمِيدُ ... مَلاءة الحُسْنِ فَا حَدِيدُ

يريد أنها تميل من الجانبين للين قَوَامِهَا.

(١) بشم: بشم من الطعام بَشَمًا أي أكثر منه حتى اتخم وسئمه، فهو بشم